# زهرة

أرادت أن تحيا وفق ما تختاره هى لا وفق ما يختاره لها الآخرون .. أرادت أن تحيا حياة أفضل .. هجرت قريتها إلى الإسكندرية .. أحبت ولكنه رآها غير كفء له .. انكسرت بيد أنها لم تتراجع .. وقررت أن تظل "كالماضى تماما حتى أحقق ما أريد" .

(1)

لم يعد لى أحد هنا بعد وفاة أبى عليه رحمة الله .. يريدون أن يزوجونى رغما عنى .. يريد جدى أن يبيعنى لرجل عجوز فى مثل عمره .. وشقيقتى وزوجها يؤيدانه فى ذلك .. ليس لى بقاء هنا بعد اليوم .. سأهرب .. نعم سأهرب ، ولكن .. إلى أين ؟ سأذهب إلى الإسكندرية .. إلى الست ماريانا الخواجاية اليونانية صاحبة بنسيون ميرامار .. لقد كانت صديقة لوالدى .. كثيرا ما كان يصطحبنى معه فى زياراته المتكررة إلى هناك .. لا أنكر أننى أحب القرية .. وسيعز على أن أترك نصف الفدان الذى أستأجره وأزرعه .. ولكن ما العمل ؟ لا بديل .

(2)

"أهلا بك فى البنسيون يا زهرة .. اعتبرى نفسك فى بيتك .. أبوك كان رجلا طيبا" هذا ما قالته لى الست ماريانا بعد أن قصصت عليها قصتى وأسفت لها ، اتفقنا على أن أعمل لديها فى البنسيون .. سأعمل خادمة ؟ وما المانع طالما أنه عمل شريف وسينقذنى من حياة الشقاء التى هربت منها .. سأتقاضى خمسة جنيهات شهريا غير المأكل والملبس .. لم يعد لباس الفلاحات هذا الذى أرتديه مناسبا .. هذا ما أكدته لى الست ماريانا .. وأحضرت لى عددا من الفساتين القديمة التى كانت لديها .. جربت واحدا .. ليس فضفاضا كالجلباب الذى أرتديه .. ولكنى أبدو فيه أكثر جمالا حتى من بنات الإسكندرية .. سأستغنى أيضا عن هذه الطرحة السوداء التى أضعها على رأسى.

(3)

بالبنسيون كان يقيم رجلان كبيران فى السن .. الأستاذ عامر وجدى وطلبة بك مرزوق ، الأول كان صحافيا كبيرا قبل الثورة ولكنه اعتزل الصحافة بعدها .. والآخر كان من الأعيان وكان يملك مائة فدان قبل أن توضع أملاكه تحت الحراسة ، الست ماريانا كانت تعاملنى معاملة طيبة ، تردد دائما أنى ذكية وأتعلم بسرعة ... بعد مجيئى إلى البنسيون بأيام جاء نزيل جديد اسمه سرحان البحيرى يعمل وكيل حسابات شركة الإسكندرية للغزل ، ومن بعده جاء حسنى علام ، من عائلة معروفة بطنطا يملك مائة فدان "على كف عفريت" –كما كانت تردد الست ماريانا دائما فى غيابه – ليس لديه عمل ولا شهادة ولكنه يقول إنه جاء إلى الإسكندرية ليبدأ مشروعا جديدا ، أما منصور باهى فهو مذيع بإذاعة الإسكندرية ، شخص منطو ليس له اختلاط كبير بمن حوله إلا فيما ندر ، وهكذا أصبحت كل حجرات البنسيون مشغولة .. ومع سرحان كانت لى قصة .

(4)

إنه لشيء يدعو للقلق أن تحياة فتاة مثلى وسط كل هؤلاء الرجال، ولكنى أعرف كيف أحمى نفسى، أنقلب رجلا عند الحاجة .. للحق أستاذ عامر كان مثل أبى، رجل طيب القلب يعاملنى كابنته، وأستاذ منصور كان

بمثابة أخ، الخوف يأتى من طلبة بك وحسنى علام، طلبة بك رجل ثقيل الدم يظن نفسه باشا وقد مضى عهد الباشوات، أما حسنى علام فلم أكن أرتاح له على الإطلاق ، وقد كان ظنى فيه فى محله فقد حاول أن يتهجم على ذات ليلة .. كان راجعا من الخارج وهو سكران وكنت أنا راجعة من الحمام إلى حجرتى .. نهرته بصوت عال وقلت: ابتعد عنى .. ولكنه لم يتراجع.. ضربته بقوة ولكنى لم أقدر عليه ، جاء سرحان وأنقذنى منه واشتبك الاثنان فى عراك حام .

(5)

كلانا من البحيرة .. أنا وسرحان .. هو من فرقاصة وأنا من الزيادية .. دق القلب منذ تلاقت عينانا للمرة الأولى وأنا خارجة من البقالة اليونانية التى أقصدها لشراء زجاجات الخمر لنزلاء البنسيون، لم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى أراه فيها فقد رأيته بعدها ثلاث مرات ولكنى لم أتحدث معه، حاول هو أن يحدثنى ذات مرة ولكنى صددته بلطف متظاهرة بالغضب ، عندما رأيته بالبنسيون بعدها بأيام يطلب حجرة لإقامة طويلة كانت سعادتى لا توصف، ولكنى حاولت أن أخفى سعادتى داخلى كى لا ألفت الأنظار.

حملت القهوة التى طلبها إلى حجرته ، كما كنت أفعل مع بقية النزلاء ، ابتسم لى ودار بيننا حديث .. عرفت أنه من البحيرة مثلى .. سألنى عما جاء بى من الزيادية إلى هنا ، قصصت عليه قصتى ، قال إن ما حدث إنما حدث كى نلتقى .. "إنى أحبك يا زهرة".

(6)

لم أشك فى حبه لى ولكنه دائما يتحدث عن عقبات تحول دون زواجنا ، يلح على أن نغادر البنسيون ونعيش معا دون قيود ، يعتبر الزواج قيدا ، ولكنى أرفض بشدة ، يقول إن زواجه منى سيسبب له متاعب له مع أسرته وفى عمله ، أية عقبات التى يتحدث عنها ، ألم تغير الثورة الأوضاع كما يردد هو دائما بفخر ؟! "الدنيا تغيرت ولكن الناس لم يتغيروا" قالها أستاذ عامر.

ولكن سرحان معه حق، حاصل على بكالوريوس تجارة ويعمل وكيل حسابات فى شركة محترمة كيف يتزوج من خادمة جاهلة مثلى؟ وإن قبل هو هل ستقبل أسرته؟ أنا لا أرضى له ذلك، لابد أن أجتهد حتى أصير كفئا له، سأتعلم .. نعم سأتعلم ، فى الدور الخامس تقطن الست علية المدرسة ، تعيش مع والديها ، سأطلب منها أن تعلمنى .. أن تعطينى درسا خصوصيا وسأدفع لها ما تريد، لابد أن أتعلم القراءة والكتابة، وبعدها سأتعلم مهنة كالخياطة مثلا ولن أبقى خادمة ، سأفعل أقصى ما أستطيع كى أكون جديرة به .

(7)

فى شقة "أبلة علية" – هكذا أصبحت أناديها - بدأت أتلقى الدروس، كانت تثنى على اجتهادى ، بعد فترة وجيزة انتقل الدرس من شقتها إلى البنسيون، الجميع يشجعوننى، كنت فى قمة السعادة ، لم يكدر صفوى إلا تلك النظرات التى لمحتها ذات مرة بين علية وسرحان ، ولكنى كذبت نفسى ، ونسيت الأمر وركزت فى تحصيل الدروس.

(8)

ذات صباح جاءت شقيقتى وزوجها من الزيادية، يريداننى أن أعود معهما، إلى القرية؟ إلى الشقاء من جديد؟ هيهات .. "لن أرجع ولو رجع الأموات" قلت بحسم، غادرا وزوج أختى يقول لى إننى أستحق القتل، لا يهم ما تقوله أنت أو ما يقوله عنى الناس .. سأبقى هنا ولن أعود .. هنا التعليم والنظافة والأمل ... والحب.

(9)

أخبرتنى الست ماريانا أن محمود أبو العباس بائع الجرائد جاء يطلب يدى منها، رفضته بالطبع بلا تردد ولا تفكير .. هل هربت من القرية لأتزوج من محمود أبو العباس الذى يعتبر النساء حيوانات ويقول إن الوسيلة المثلى للتعامل معهن هي الحذاء. لقد سمعته بأذنى يقول هذا الكلام لأحد أصدقائه دون أن يشعر هو بأنى أسمعه، إن قلبى مع شخص آخر .

(10)

رأيتهما بعينى ، سرحان وعلية ، فى الطريق يسيران معا يتحدثان ويضحكان ، نار اشتعلت بداخلى ، انتظرته حتى أتى ، دخلت عليه حجرته وواجهته ، حاول أن ينكر ، أخبرته أننى سألتها فقالت إن خطوبتهما ستعلن قريبا .. احتدت المناقشة بينى وبينه .. تطور الأمر إلى سباب ثم ضرب .. جاءت الست ماريانا لتفرق بيننا ، "كذاب خائن عديم الأخلاق" .. "أنا حر أتزوج بمن أشاء ، وسأتزوج علية".. جذبه أستاذ منصور إلى حجرته وتوجهت أنا إلى حجرتى ، دخلت حجرتى وأغلقت بابى ، بكيت بكاء لم أبك مثله منذ وفاة أبى رحمه الله .. أبى كم أفتقدك الآن .. أشعر أن لا سند لى ولا معين فى هذه الحياة، من وثقت فيه وأملت نفسى أن أجد فيه السند والمعين غدر بى .. يقول إنه حر يتزوج بمن يشاء، تتزوج بمن تشاء ؟!! وما كان بيننا؟!! ألهذه الدرجة لا قيمة لى فى نظرك؟!! ولكنى أستحق .. كثيرا ما حذرنى منه أستاذ عامر، كيف لم أرتب من ناحيته وقد رأيت بعينى المرأة التى تبعته إلى البنسيون ذات ليلة وهى تسبه وتلعنه متهمة إياه بالخيانة، عندما سألته عنها قال لى "إنها امرأة ساقطة هجرتها من أجلك" لا شك أنه سيقول نفس العبارة لعلية عندما تسأله عنى.

(11)

غادر سرحان البنسيون .. الست ماريانا طردته .. لعل ذلك يخفف من النار المتقدة بداخلى فأنا لا أطيق أن أرى وجهه .. بعد يوم من مغادرته علمنا أنه وجد قتيلا فى أحد الشوارع، إحساس غريب سيطر على عندما عرفت الخبر.. صدمت ولكنى لم أحزن ولم أذرف دمعة واحدة على من غدر بى، لقد قررت أن أعيش بلا قلب، أن أنحى عواطفى جانبا وأتجنب جنس الرجال. اتضحت فيما بعد حقيقة ما حدث .. لقد انتحر بقطع شرايين يده بعد أن علم بانكشاف جريمة تهريب الغزل الذى كان مشاركا فيها .. إنه رجل بلا مبادئ.

(12)

الست ماريانا لم تعد تريدنى فى البنسيون .. أصبحت - كما تقول - تتشاءم منى .. لا يهمنى .. أنا لا أريد البقاء .. سأذهب صباح الغد. ذهبت لأودع أستاذ عامر فسألنى فى أسى: "ماذا أعددت للمستقبل ؟" قلت: "كالماضى تماما حتى أحقق ما أريد ، سأبحث عن عمل آخر وسأستمر فى التعليم" .. ضقت بنظرة الشفقة فى عينيه فأضفت بثقة: "سأكون أحسن مما كنت هنا"، لا أدرى أقلت ذلك عن قناعة أم كنت أحاول إخفاء ما بى من ضعف وانكسار، دعا الله لى بالتوفيق وطلب منى أن أقصده عند الحاجة .. شكرته باسمة .. ثم مضيت .. وكل ما أرجوه أن يكون المستقبل أقل قسوة من الماضى.